خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٤ صفر ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن يوم الجمعة سيّد أيام الأسبوع على الإطلاق، يقول نبينا ﷺ: «إن يوم الجمعة سيّد الأيام، وأعظمها عند الله تعالى»، وهو من أفضل أيام الدنيا، يقول نبينا ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه الصعقة، وفي النفخة، وفيه خُلق آدم، وفيه قُبض، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرَمت؟ -أي: بليت-، قال: «إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وقد اختصّ الله ﷻ أمة محمد ﷺ بهذا اليوم، فأمة محمد ﷺ هي سيدة الأمم، وخير الأمم، ونبيها ﷺ سيّد ولد آدم أجمعين، فاختُصّت بسيد الأيام -بيوم الجمعة-.

وقد جعل الله لكم -يا عباد الله- في يوم الجمعة خيراتٍ كثيرة، وأجوراً كبيرةً وفيرةً، ومن ذلك -يا عباد الله- بشارةٌ بشَّر بها النبي ﷺ لمن عمل أعمالاً يسيرة في يوم الجمعة، فقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: «**من اغتسل يوم الجمعة وغسَّل، وبكَّر وابتكر، ودنا واستمع وأنصت، كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها**»، وجاء في رواية زيادة: «**ومشى ولم يركب**».

الله أكبر -يا عباد الله-! ما أصدقه من مُبشِّر ﷺ! وما أعظمها من بشارة!

إن من عمل هذه الأعمال اليسيرة -يا عباد الله- فإن له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد أجر سنة كاملة صيامها وقيامها، أي أن له أجر صيام سنة كاملة، وأجر قيام سنة كاملة.

بعمله كله -يا عباد الله-؟ لا والله، وإنما بكل خطوة يخطوها إلى المسجد، فإذا كان بينه وبين المسجد مائة خطوة فإنه يفوز بأجر صيام مائة سنة، وأجر قيام مائة سنة، وإذا كان بينه وبين المسجد ألف خطوة فإنه يفوز بأجر صيام ألف سنة، وبأجر قيام ألف سنة، وهكذا -يا عباد الله-، كلما كان أبعد عن المسجد كان أعظم أجراً.

الله أكبر -يا عباد الله-! ما أعظمه من ثواب! يستحق أن نُتعِب أنفسنا فيه تعباً شديداً، فكيف وربنا الرؤوف الرحيم قد قرّبه إلينا بأعمال يسيرة، وجعله حاصلاً لنا بأيسر الأعمال؟

إن ذلك -يا عباد الله- بأعمال أربعة، من عملها يوم الجمعة فاز بهذا الأجر العظيم، فما هي هذه الأعمال الأربعة؟

«من اغتسل يوم الجمعة وغسّل»، وفي رواية: «من غسّل واغتسل».

وقد اختلف علماؤنا في تفسير هذه الجملة:

فقال بعض العلماء: هما بمعنى واحد، وهذا للتأكيد.

وقال بعض علمائنا: المعنى أن من جامع امرأته في أول نهار الجمعة، فغسّلها -أي جعلها تغتسل للجنابة-، واغتسل هو للجمعة والجنابة.

وقال بعض علمائنا: المعنى أن من اغتسل غُسل الجمعة، وغسّل أعضاء الوضوء، فتوضأ بعد غسله.

وقال بعض علمائنا: المعنى أن من غسّل رأسه، واعتنى بتنظيف رأسه، وذلك أن الرأس مَجمَع الشعر، وقد تجتمع فيه الأوساخ، فينبغي أن يُعتنى بغَسله، وقد لا يعتني الإنسان بغَسله إذا لم يكن الغُسل واجباً، فأكّده النبي ﷺ وأفرده، واغتسل: يعني غسل باقي جسده، وهذا -يا عباد الله- هو قول أكثر

علماء الإسلام، وهو الراجح إن شاء الله ﷻ، فقد جاء في بعض الروايات: «من غسّل رأسه يوم الجمعة واغتسل».

لكن لو أن الرجل جمع بين أقوال العلماء لكان خيراً، فإذا كان ذا زوجة جامعها في أول نهار الجمعة، فغسّلها -أي جعلها تغتسل غُسل الجنابة-، واغتسل هو للجنابة والجمعة.

فإنْ جمع بينهما في غُسل واحد بنيّتين، فنوى غُسل الجنابة وغُسل الجمعة، أجزأه وصح ذلك منه، وإن اغتسل للجنابة، ثم اغتسل للجمعة غُسلاً آخر، فذلك خيرٌ -يا عباد الله-، فقد دخل أبو قتادة -رضي الله عنه وأرضاه- على ابنه عبد الله وهو يغتسل يوم الجمعة، فقال له: أغُسلك هذا من جنابة؟ قال: نعم، قال: فاغتسل غُسلاً آخر.

ثم بعد غسله توضأ، وكان قد اعتنى بغَسل رأسه، ثم ذهب إلى المسجد، فذاك خيرٌ على خير.

وإن اقتصر على غسل الجمعة، فاعتنى بغسل رأسه، وتغسيل جسده، ثم توضأ، ثم ذهب إلى المسجد، فقد حصل المقصود، ودخل في الفضل المنشود الذي بيّنه النبي ﷺ.

وأما العمل الثاني: «وبكّر وابتكر».

وقد قال بعض العلماء: إن معناهما واحد، وإن هذا التكرار للتأكيد.

وقال بعض العلماء: معنى «بكّر»أي ذهب مبادراً، وسابق إلى المسجد، فذهب في أول الوقت من أجل صلاة الجمعة، ومعنى «ابتكر» أنه حضر الخطبة من أولها، فلم يَفُته منها شيء، وجاء في رواية أخرى: «وغدا وابتكر»، أي ذهب في أول النهار، وابتكر: أي حضر الخطبة من أولها.

وأما العمل الثالث: دنا من الإمام، وأنصت واستمع، فأحضر قلبه، وأحضر سمعه، واستمع الخير الذي يُقال في الخطبة، دنا من الإمام ما أمكنه، واقترب من الإمام ما أمكنه، واستمع وأنصت.

وجاء في رواية أخرى: «ودنا من الإمام، ولم يَلغُ»، أي لم يتشاغل عن الخطبة بشاغل من الشواغل، وكل ما شغل عن الخطبة فهو لغوٌ -يا عباد الله-، ولو كان هذا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال النبي ﷺ: «من قال لصاحبه أنصِت والإمام يخطُب فقد لغا».

واللغو -يا عباد الله- قد يُذهِب أجر الجمعة كله، فقد قرأ النبي ﷺ في خطبة الجمعة سورة تبارك، فغمز أبو ذرٍّ أُبيّاً رضي الله عنه وقال: متى أُنزلت هذه السورة؟ فإني لم أسمعها إلا الآن، فسكت عنه أُبيّ رضي الله عنه، فلما خرجا قال أبو ذرّ رضي الله عنه: سألتك عن هذه السورة متى أُنزلت، فلم تُجبني، فقال أُبيّ رضي الله عنه: ليس لك من جمعتك إلا ما لغَوت، فذكرا ذلك للنبي ﷺ، فقال ﷺ: «صدق أُبيّ».

فالذي يلغو قد يَذهب أجر جمعته كله، ولا ينال إلا أجر صلاة الظهر.

ومن اللغو المعاصر -يا عباد الله-: النظر في الهاتف أثناء خطبة الخطيب للجمعة، فإن بعض إخواننا نراهم يُخرِجون الهاتف، ينظرون فيه، وقد يقلّبون الرسائل، وهذا من اللغو -يا عباد الله-.

ومن اللغو الذي نراه من بعض إخواننا: أنا نرى بعض إخواننا يُقلِّب قارورة الماء في يده، يرفعها تارة، ويضعها تارة، ويَقلِبها تارة، وهذا -يا عباد الله- من اللغو في يوم الجمعة.

فاحذروا -رعاكم الله- اللغوَ والخطيبُ يخطب الجمعة.

فمن آداب الخطبة -يا عبد الله- أن تدنو من الإمام، وأن تُقبل عليه بوجهك، وأن تُحضر قلبك، وأن تُحضر سمعك، وأن تنوي بقلبك أن تنتفع بالخير الذي يقوله الخطيب.

وأما الأمر الرابع: «ومشى ولم يركب»، أي: مشى على رجليه، وقال النبي ﷺ: «ولم يركب»، لتأكيد أنه يمشي في طريقه كله من أوله إلى آخره، فالمشي على الرجلين إلى صلاة الجمعة له مزيّة خاصة -يا عباد الله-.

واعلم -يا عبد الله- أنك إذا مشيت إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فإنك تمشي في سبيل الله، وهذا من أعظم أسباب المباعدة عن النار، فقد جاء عن عَباية بن رِفاعة أنه قال: أدركني أبو عبس رضي الله عنه وأنا أذهب إلى الجمعة، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرَّت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار».

وقد ذهب جماعة من السلف إلى أنه يدخل في ذلك المشيُ إلى كل أمر يحبه الله عز وجل، كالمشي من أجل بر الوالدين، والمشي لصلة الرحم، والمشي للإصلاح بين الناس، والمشي لزيارة الأخ في الله، إلى غير ذلك، ومن أعظم هذا المشي: أن تمشي -يا عبد الله- إلى بيتٍ من بيوت الله، تريد أن تصلي فريضةً

من فرائض الله، وأعظم ذلك أن تمشي إلى صلاة الجمعة، ففي المشي إلى صلاة الجمعة خيرٌ كثير، وأجرٌ كبيرٌ -يا عباد الله-.

هذه الأعمال الأربعة التي من فعلها في يوم الجمعة فاز بأجرٍ عظيم، ألا وهو أن له بكل خطوة يخطوها أجرَ صيام سنة وأجرَ قيام سنة.

فإن أضفت -يا عبد الله- إلى هذه الأمور الأربعة ما جاء في قول النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة فغسَّل الرجل رأسه واغتسل، ثم تطيَّب بأطيب طيبه، ثم لبس من صالح ثيابه، ثم ذهب إلى الصلاة، فلم يُفرِّق بين اثنين، واستمع، غُفر له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام».

فاحرص رعاك الله -احرص رعاك الله-، على أن تجمِّل نفسك في يوم الجمعة بهذه الأعمال الطيبة، اغتسل في أول النهار، واحرص على كمال غُسلك، وتوضأ، وتطيّب بأطيب الطيب، والبس من أحسن ثيابك، وتسوّك، وامشِ إلى المسجد مُبكِّراً، فإذا وصلت إلى المسجد فلا تُفرِّق بين اثنين، لا حِسّاً ولا معنًى، واشتغل بذكر الله، أو بقراءة القرآن، أو بالصلاة، فقد جاء في بعض الروايات: «وركع ما شاء الله له أن يركع»، ثم إذا حضر الخطيب فأقبِل عليه، واجتهد في الاستماع إليه، واحرص على أن تنتفع بما يقول، فإنك إذا فعلت ذلك خرجت بأجر عظيم، وفوز كريم.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل فضله.

أقول ما تسعمون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

اعلموا أن المسلم إذا خرج من بيته إلى صلاة الجمعة فإنه يُكتَب له أجر صلاة الجمعة من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إلى بيته، وإذا وصل إلى المسجد وقعد ينتظر صلاة الجمعة فإنه يُكتَب له أجر القائم الذي يصلي صلاة الجمعة، فقد قال النبي ﷺ: «إذا تطهّر الرجل ثم خرج إلى المسجد يرعى الصلاة كَتب له كاتباه بكل خطوة يخطوها عشر حسنات، والقاعدُ يرعى الصلاةَ كالقانت، ويُكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع إليه».

الله أكبر -يا عبد الله-! الله أكبر -يا عبد الله-! أجر صلاة الجمعة أجرٌ عظيم، فإذا بكّرت إلى صلاة الجمعة فإنك من حين تخرج من بيتك من أول خطوة تخطوها من بيتك يُجري عليك ربك أجر صلاة الجمعة، حتى تعود إلى بيتك، وتدخل بيتك، وإذا جئتَ مبكّراً إلى المسجد وقعدتَ في المسجد فإن الله يُجري عليك أجر الذي يصلي الجمعة فعلاً.

فما أعظمه من فضل -يا عباد الله-!

واعلم -يا عبد الله- أنك عند خروجك إلى الجمعة يَكتب الله ﷻ لك أجر الحاجّ المحرم، يقول النبي ﷺ: «من خرج إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاجّ المحرم»، وأنت إذا خرجت إلى الجمعة إنما تخرج إلى صلاة مكتوبة، فيُرجى أن يكتب الكريم لك أجر الحاجّ المحرم.

الله أكبر -يا عباد الله-! ما أعظمها من أجور وفيرة، ومن خيرات كثيرة! وإنه مِن أسف أن العاملين منا بها قليلٌ -يا عباد الله-، لكن المؤمن إذا ذُكِّر تذكَّر، والذكرى تنفع المؤمنين، وهذه الأعمال لا تحتاج منا إلا إلى همة عالية، وإرادة صادقة، وإلا فهي أعمالٌ يسيرة.

أُخَيّ، أُخَيّ، أُخَيّ، قُل لي بالله، قُل لي بالله، ما الخير لك في يوم الجمعة؟ أن تبقى في بيتك نائماً، أو تبقى في بيتك متحدِّثاً، أو تذهب إلى صديقك مسامراً، أم تذهب إلى بيت ربك مبكّراً، فتنال هذه الأجور العظيمة؟ لا شك أن كل مؤمن وأن كل عاقل يقول مُتيقِّناً: إن الخير أن أُبكِّر إلى بيت ربي.

فالله الله -عباد الله-! لا تحرموا أنفسكم هذه الأجور الكريمة، ولو أن تجعلوا جمعةً في الشهر تحرصون فيها على القيام بهذه الأعمال، وعلى التبكير إلى المسجد، فمن راح في الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر.

فالملائكة -يا عباد الله- يَقعُدون على أبواب مساجد المسلمين يوم الجمعة، يسجِّلون الأول فالأول بحسب التقدُّم، وكلما تقدَّم المسلم كان أشرف وأعظم أجراً، فإذا خرج الإمام طوت الملائكة صُحُفها، ودخلَت المسجد يستمعون الذكر مع المؤمنين.

ألا فأكرموا أنفسكم -عباد الله- بالسعي في اكتساب ثواب الله، لعلكم أن تكونوا من المفلحين، من أهل الفردوس الأعلى.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عزّ من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

فصلّوا -عباد الله- على حبيبكم ونبيكم وإمامكم محمد ﷺ، وسلِّموا تسليماً.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وأكرمنا يا ربنا برضاك عنّا أجمعين، اللهمّ ارضَ عنا أجمعين، اللهمّ ارضَ عنا أجمعين.

إلهنا، إلهنا، إلهنا، يا رؤوف يا رحيم، يا حي يا قيوم، إنا عبادٌ من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضةً عظيمةً من فرائضك، أتيناك نحمل ذنوبنا على أعناقنا، ونحن عبادٌ مسرفون مذنبون مقصّرون، لكنا يا ربنا لرحمتك راجون، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهمّ فاغفر لنا ذنوبنا أجمعين.

اللهمّ ارحمنا أجمعين، اللهمّ ارحمنا أجمعين، اللهمّ ارحما أجمعين.

اللهمّ حقِّق لنا سؤلنا أجمعين، اللهمّ إن لكل منا حاجة، وأنت أعلم بنا من أنفسنا، اللهمّ فلا تحرم منا أحداً، اللهمّ من كان منا له مريض فاشفِ له مريضه يا رب العالمين، ومن كان به همّ فأزِل همّه يا رب العالمين، ومن كان عليه دَين فاقضِ دَينه يا رب العالمين، ومن اشتاق منا لأهله اللهمّ فقرِّبه إليهم يا رب العالمين، على خير وبركة وحُسن حال يا رب العالمين.

إلهنا، إلهنا، إلهنا، إنا قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نسألك كما جمعتنا في هذا المكان المبارك، في هذا الوقت المبارك، في هذه الفريضة، أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ وفِّق ولاة أمرنا إلى ما تحب وترضى، اللهمّ اهدِهم وسدِّدهم، اللهمّ اهدِهم وسدِّدهم، اللهمّ اهدِهم وسدِّدهم، اللهمّ اجعلهم يَقبلون الآراء الطيبة، اللهمّ اجعلهم يَقبلون الآراء الطيبة، اللهمّ يا ربِّ قوِّ المحبة بيننا وبينهم يا رب العالمين، اللهمّ اجعلهم رحمةً على الرعية يا رب العالمين، اللهمّ واحفظ جنودنا الذين يحاربون عن بلاد الحرمين يا رب العالمين، احفظهم وأكرمهم واجعل أجورهم أعظم الأجور يا رب العالمين، وارحم شهيدهم، واجعلهم في أعظم المنازل يا رب العالمين، وداوِ جرحاهم يا رب العالمين، وأكرمنا بنصرهم يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا نحب المؤمنين في كل مكان، اللهمّ فأكرمنا بنزول الخير على المؤمنين في جميع بلدانهم، أنزل الطمأنينة عليهم، وأكرمهم بالأمن والاستقرار يا رب العالمين، وجنِّبنا جميعاً شر الفتن ما ظهر منها وما بطن يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.